تَجَلِّيَاتُ مَفْهُومِ الشِّعْرِ عِنْدَ النُّقَادِ القُدَامَى

The manifestation of the concept of poetry in the old criticism

د.طارق زيناي

جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي– الجزائر

zinaitarek@gmail.com/

تاريخ الإرسال: 2020-05-06	تاريخ القبول:2020-05-19	تاريخ النشر:2020-06-25

ملخصٌ:

لعلَّ المطالع للنقد العربي القديم يجد أنَّه قد اهتمَّ اهتماما عجيبا بكل ما يخصُّ الشعر العربي، من خلال جوانبه الشكلية والمضمونية، بحيث لا نجد ناقدا لم يتناول الشعر العربي بوجه من الوجوه، منذ أول كتاب نقديٍّ؛ طبقات فحول الشعراء حتى وقتنا هذا، ولعلَّ من بين القضايا المتعلقة بالشعر، التي استأثرت باهتمام النقاد هي تحديد مفهومه وماهيته وحقيقته، بحيث تنوعت الآراء واختلفت، لتنوع واختلاف المرجعيات المعرفية والأسس النقدية، التي بنوا من خلالها تصوراتهم، من هذا المنطلق سيحاول هذا المقال تناول هذه القضية بتركيز واختصار، بحيث تتبين من خلاله مذاهب النقاد في هذه القضية.

الكلمات المفتاحية : الشعر؛ النقد العربي القديم؛ ابن طباطيا؛ قدامة بن جعفر؛ حازم القرطاجني.

Abstract:

The reader of the ancient Arabic criticism finds that it has paid an important attention to all aspects of Arabic poetry, through its form and content aspects, where we do not find a critic who did not tackle Arabic poetry in any way, since the first critical book, layers of poets to nowadays. Perhaps one of the issues related to poetry, which has attracted the attention of critics is the identification of its concept and reality, so, opinions varied and differed, because of the diversity and differences of knowledge references and cognitive foundations, through which they built their perceptions, from this point of view this article will try to address this issue concisely and precisely, so that the critics doctrines about the issue reveals.

Key words: poetry; ancient Arabic criticism; Ibn Tababa; Kodama bin Jafar; Hazim Kartajani .

نَصُّ المَقَالِ:

من المعلوم أن الشعر العربي قد استأثر باهتمام الدرس النقدي القديم لمنزلة الشعر والشاعر في متخيل الإنسان العربي، بحيث كثرت المصنفات والآراء والنظريات التي حاولت مقاربته مقاربة معينة، فكان منهم من تناول خاصيته العروضية، فرأوه قولا موزونا مقفى ومنهم من تناول وظيفته النفسية فرأوا فيه أنه وسيلة مؤثرة تبعث في النفس انفعالا ما، ومنهم من تناول ماهيته التصويرية، فرأوه كيانا متخيلا يصور العالم تصويرا مخالفا لما هو عليه، وهكذا، ولعلَّ الأمر المشترك بين النقاد الذين اشتهروا بتأصيل مفهوم الشعر، والذين وصلتنا كتبهم هو إفادتهم الواضحة من الثقافة الفلسفية التي كانت شائعة في زمنهم، وهذا ما نجده مع **ابن طباطبا** و**قدامة** و**حازم القرطاجني**، ونحن في هذا المقال سنحاول التطرق لأهم التصورات النقدية القديمة التي تكلمت عن ماهية الشعر، وذلك عبر التدرُّج في مفهومه، من القاصر إلى الكامل إلى الأكمل، وقبل التعريج على تجلياته المختلفة عند النقاد القدامى، لابد من ذكر مفهومه اللغوي كما قررته المعاجم العربية:

مَفْهُومُ الشِّعْرِ لُغَةً:

جاء عند **ابن سيده:** « الشَّعر: منظوم القَوْل، غلب عَلَيْهِ لشرفه بِالْوَزْنِ والقافية، (...) وَالْجمع أشعار، وشَعَر الرجل يَشْعُرُ شَعْراً وشِعْراً، وشَعُرَ: قَالَ

الشِّعْر، وَقيل: شَعَرَ: قَالَ الشّعْر، وشَعُر: أَجَاد الشِّعر، وَرجل شَاعِر، وَالْجمع شُعَراء » [1].

ويعرفه صاحب المفردات بقوله: « فَالشِّعْرُ في الأصل اسم للعلم الدَّقيق في قولهم: ليت شعري، وصار في التّعارف اسما للموزون المقفّى من الكلام، والشَّاعِرُ للمختصّ بصناعته » [2].

وجاء عند **الجوهري** قوله: « وشعرت بالشئ بالفتح أَشْعُرُ به شِعْراً: فطِنْتُ له، ومنه قولهم: ليت شِعْري، أي ليتنى علمت (...) والمتَشاعِرُ: الذي يتعاطى قولَ الشِعْرِ، وشاعَرْتُهُ فشَعَرْتُهُ أَشْعَرُهُ بالفتح، أي غلبتُه بالشِعْرِ » [3].

ويعرف **أبو البقاء الكفوي** الشاعر بقوله: « والشاعر فِي الْقُرْآن عبارَة عَن الْكَاذِب بالطبع، وَلكَون الشِّعْر مقرُّ الْكَذِب قيل: أحسن الشّعْر أكذبه، وَقَالَ بعض الْحُكَمَاء: لم يُرَ متدين صَادِقُ اللهجة، مفلقا فِي شعره، وَإِنَّمَا رَمَوْهُ بالشعر حَتَّى قَالُوا : بل هُوَ شَاعِر، يعنون أَنه كَاذِب، لَا أَنه أَتَى بِشعر منظوم مقفى، إِذْ لَا

[1] أبو الحسن علي بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ج01، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2000، ص 364.

[2] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط01، 1412هـ، ص456.

[3] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج02، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط04، 1987، ص 698 – 699.

يخفى على الأغبياء من الْعَجم فضلا عَن بلغاء الْعَرَب أَنَّ الْقُرْآن لَيْسَ على أساليب الشِّعْر » [1].

من التعريفات السابقة يتبين لنا أن الشعر في اللغة لا يخرج عن كونه القول المنظوم بوزن وقافية، وهو صناعة كسائر الصناعات، متعلق بالشعور، وهناك من يرى أن الشعر مرادف للكذب، والشاعر مرادف للكاذب، أو أنه مرادف للفطنة والنباهة، وقبل التطرق إلى تجليات مفهومه عند النقاد القدامى لابد من الإشارة إلى أنه بسبب ضياع كثير من كتب التراث النقدي – كما جاء ذكرهم في كتب التراجم والفهارس – قد ضاعت معهم كثير من الأفكار والنظريات والتصورات، والتي إن وصلتنا لتغيرت كثيرٌ من المفاهيم عندنا، حتى إنَّ الواحد ليظنُّ أن تاريخنا النقدي بأطروحاته وقضاياه وصلنا ناقصا، ولو وصلنا وافرا لأدركنا خيرا كثيرا، ولعل من تلك المفاهيم، مفهوم الشعر عندهم[2]، حيث لم يصلنا من دراسات تأصيلية له إلا بداية من القرن الرابع الهجري، وإن كانت هناك – بلا ريب– محاولات تمهيدية

---

1) أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تح : عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط02، 1998، ص 537.

2) يعدُّ القرن الرابع الهجري موئل كثير من الدراسات التي حاولت تأصيل مفهوم الشعر، ولكن الكثير منها ضاع، ولم يحفظ لنا التاريخ إلا أسماءها وأسماء مؤلفيها، نذكر منها على سبيل التمثيل: كتاب "صناعة الشعر" لأحمد بن سهل البلخي (ت322هـ)، وكتاب " الترجمان" في الشعر للمفجع البصري (ت327هـ)، وكتاب" المدخل إلى علم الشعر " لابن المقسم (ت 355هـ)، وكتاب " الشعر" لمحمد بن عمران المرزباني (ت378هـ)، وكتاب " صنعة الشعر " لأبي هلال العسكري (ت382هـ)... وغيرها من الكتب في هذا القرن وما بعده.

وإرهاصات مبكرة، ضاعت في مجاهل الزمن، يمكن أن نذكر منها : محاولات المعتزلة كا**لعتابي** و**الجاحظ** بوجه أكثر وضوحا، ثم **ابن طيفور** في كتابه: " المنثور والمنظوم" و" والمبرد في كتابيه: " قواعد الشعر" و" وضرورة الشعر " وأبي حنيفة الدينوري في كتابه: " الشعر والشعراء"، ومحاولات الفلاسفة المسلمين المرتبطة بترجمات **أفلاطون** و**أرسطو** كا**لرازي** و**السرخسي** و**الكندي**، وفيما يلي سنتطرق لأهم المحاولات التي أصَّلت لمفهوم الشعر.

مَفْهُومُ الشِّعْرِ عِنْدَ ابْنِ طَبَاطِبَا العَلَوِيِّ (ت322هـ):

الملاحظ أنَّ **ابن طباطبا** في كتابه: "عيار الشعر" الذي ينضوي ضمن ما يسمى بالنقد النظري، الذي يرمي إلى تأصيل الفن الشعري، وتوضيح قواعده، وبيان المعيار أو المقياس الذي ينبني عليه الحكم النقدي على هذا الفن، حيث ركَّز على المعطى العروضي؛ الذي يراه ركنا جوهريا لا يمكن الاستغناء عنه، ولكنه ذكر شيئا زائدا على تعريف قدامة- الذي سنتطرق إليه باعتباره الأساس الأول- وهو ربط الشعر بالذوق والطبع؛ أي الاستعداد الفطري لنظم الشعر، وذلك في قوله: «الشِّعْرُ- أَسْعَدَكَ اللهُ - كلامٌ منظومٌ بَان عَن المنثور الَّذِي يَسْتعملُهُ النَّاس فِي مخاطباتهم بهَا خُصَّ بِهِ من النَّظم الَّذِي إنْ عُدِل بِهِ عَن جِهَتِهِ مَجَّتْهُ الأَسْمَاعُ وفَسَدَ على الذَّوْق، ونَظْمُهُ معلومٌ محدودٌ؛ فَمَنْ صَحَّ طَبْعُهُ وذَوْقُهُ لم يَحْتَجْ إِلَى الاستعانَةِ على نَظْمِ الشِّعر بالعَرُوض الَّتِي هِيَ مِيزَانه، وَمن اضطَرَب عَلَيْهِ الذَّوقُ لم يَسْتَغْنِ عَن تَصْحيحِهِ وتَقْويمِهِ بمَعْرِفَةِ العَروضِ والحِذْقِ بهَا حَتَّى تَصِير معرفَتُهُ

المُسْتفادةُ كالطَّبع الَّذِي لَا تَكَلُّفَ مَعَه»[1]، أيضا ما يلاحظ عن هذا التعريف هو عدم ربط الشعر بالتخيل من حيث هو مصدره أو وظيفته، ويرجع ذلك – كما يرى جابر عصفور – إلى أن **طباطبا** « فهم ((التخيل)) باعتباره خاصية أساسية في الفن الأدبي بعامة، يمكن أن ينطوي عليها الشعر والنثر على السواء» [2].

والملاحظ أنه في نصه السابق قد أردف تعريف الشعر بأهم الأدوات المعينة على نظمه، والتي جعلها في العناصر التالية [3]:

- التوسع في علم اللغة.
- البراعة في فهم الإعراب.
- الرواية لفنون الآداب.
- المعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم.
- الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر والتصرف في معانيه في كل فنٍّ قالته العرب فيه وسلوك مناهجها في صفاتها ومخاطباتها وحكاياتها وأمثالها والسنن المستعملة منها، وتعريضها وتصريحها، وإطنابها وتقصيرها، وإطالتها، وإيجازها، ولطفها وخلابتها، وعذوبة ألفاظها، وجزالة معانيها، وحسن مباديها،

1) محمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2005، ص09.

2) جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط05، 1995، ص 30.

3) يُنظر: محمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، مصدر سبق ذكره، ص 10.

وحلاوة مقاطعها، وإيفاء كل معنى حظه من العبارة، وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ حتى يبرز في أحسن زي وأبهى صورة.

مَفْهُومُ الشِّعْرِ عِنْدَ قُدَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ(ت 337هـ) وَمَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَهُ:

إنَّ أول ما وصلنا من تعريفٍ للشعر تعريفا منطقيا شبه ناضج هو ما أتى به **قدامة بن جعفر**، الذي يقول في تحديده: « إن أول ما يحتاج إليه في العبارة عن هذا الفن: معرفة حد الشعر الحائز له عما ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز– مع تمام الدلالة – من أن يقال فيه: إنه قول موزون مقفى يدل على معنى »[1].

ثم بعد هذا التحديد المجمل راح يشرح هذه العناصر الأربعة، شرحا منطقيا، حيث « جعله جامعا لأفراد الجنس، مانعا من دخول غيرها فيه »[2] فقال:

فقولنا: قول: دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر.

وقولنا: موزون: يفصله مما ليس بموزون، إذ كان من القول موزون وغير موزون.

وقولنا: مقفى: فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف، وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع.

---

[1] أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط01، 1302هـ، ص 03.

[2] بدوي طبانة، قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط03، 1969، ص173.

وقولنا: يدل على معنىً: يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى[1].

والملاحظ من هذا التعريف، مع الإقرار بأن **قدامة بن جعفر** يحسب على المتأثرين بالثقافة اليونانية والأرسطية بوجه الخصوص، إلا أننا لا نجد تأثرا من قدامة بـ**أرسطو** في مفهوم الشعر باعتباره يقوم على المحاكاة، « إلا أنه تطبيق واضح لتعريفاته الشكلية التي تعتمد على المقولات » [2].

أما إذا رجعنا لتعريفه السابق وأردنا معايرته نجد أن قدامة حدد العناصر المائزة للشعر، لكنه أهمل ذكر ما به يصير حد الشعر مكتملا ومنضبطا ودقيقا، يقول **جابر عصفور** معلقا على هذا التعريف: « هذا التعريف جامع مانع للمادة فحسب، بمعنى أنه لا ينطوي على أي تحديد للقيمة، ولا يميِّز ما يمكن أن نسميه ((الشعر الحق)) عما ليس كذلك، أو– بعبارة أخرى – لا يميز الشعر عن مجرد النظم الوزني » [3].

وقد ذكر أنَّ الشعر صناعة منه الجيد ومنه الرديء، ولهذا يُحْتَاجُ إلى معرفة ما يجمله وما يقبحه، يقول في هذا المعنى: « ولما كانت للشعر صناعة، وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال، إذ

---

[1] أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مصدر سبق ذكره، ص 03.

[2] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996، ص69.

[3] جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، مرجع سبق ذكره، ص 93.

كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن، فله طرفان: أحدهما غاية الجودة، والآخر غاية الرداءة، وحدود بينهما تسمى الوسائط، وكان كل قاصد لشيء من ذلك فإنما يقصد الطرف الأجود، فإن كان معه من القوة في الصناعة ما يبلغه إياه، سمي حاذقاً تام الحذق، وإن قصر عن ذلك نزل له اسم بحسب الموضع الذي يبلغه في القرب من تلك الغاية والبعد عنها » [1].

إذن فما دام الشعر صناعة، فإن الناقد هو المميز لهذه الصناعة من حيث جيدها ورديئها، وهذا التمييز مرتبط – أساسا – بتوفر المعايير التي تجعل منه شعرا في غاية الجودة، أو في غاية الرداءة أو ما بينهما « ليكون ما يوجد من الشعر قد اجتمعت فيه الأوصاف المحمودة كلها، وخلا من الخلال المذمومة بأسرها، يسمى شعراً في غاية الجودة، وما يوجد بضد هذا الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة، وما يجتمع فيه من الحالين أسباب ينزل له اسم بحسب قربه من الجيد أو من الرديء، أو وقوفه في الوسط »[2]، والمقصود بهذه المعايير عند **قدامة**، هي مقولات تعريفه السابق ((القول، الوزن، القافية، المعنى))، هذه العناصر التي هي صفات ذاتية مفردة يجب توفرها في الشعر، كما أنها في الوقت نفسها لها علاقة بعضها ببعض من حيث التلاؤم والاقتران، وبهذه العناصر« نصبح إزاء ثماني مجموعات من الصفات التي يمكن أن تعتور الشعر في حالتي الجودة والرداءة، أربع منها ذاتية في عناصر الشعر الأربعة المنفصلة، وهي اللفظ

[1] أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مصدر سبق ذكره، ص03 – 04.
[2] المصدر نفسه، ص 04.

والوزن والقافية والمعنى، وأربع منها تنشأ من العلاقات بين هذه العناصر في حالة ائتلافها في علاقة اللفظ بالمعنى، وفي علاقته بالوزن، وفي علاقة المعنى بالوزن، وأخيرا علاقة المعنى بالقافية »[1].

وقد تبع **ابنُ رشيق قدامةَ بن جعفر** في تعريف الشعر (ت456هـ)، حيث عقد بابا في عمدته أسماه: "حدُّ الشِّعْرِ وَبِنْيَتُهُ " قال فيه: « الشعر يقوم بعد النيَّة من أربعة أشياء، وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حدُّ الشعر؛ لأن من الكلام موزوناً مقفى وليس بشعر؛ لعدم القصد والنية، كأشياء اتَّزنت من القرآن، ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك ممَّا لم يطلق عليه أنه شعر[2]، ولعل احتراز القصدية هنا له ما يبرره من جهة أنَّ هناك من الطاعنين والمشككين ممن يلمز القرآن الكريم، ويقول إنه شعر، مادام فيه آيات موزونة على وزن من أوزان الشعر، ولا أظن أن أحدا ردَّ هذه الشبهة بالحجة البالغة كما فعل **الباقلاني**، وذلك من عدَّة وجوه [3]:

أولها: إن الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن، لو كانوا يعتقدونه شعراً، ولم يروه خارجاً عن أساليب كلامهم – لبادروا إلى معارضته، لان الشعر مسخر لهم مسهَّل

[1] جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، مرجع سبق ذكره، ص 95.

[2] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج01، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط05، 1981، ص 120.

[3] يُنظر: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 05، 1997، ص 53- 54.

عليهم، ولهم فيه ما علمت من التصرف العجيب، والاقتدار اللطيف، فكيف يخفى عليهم هذا الأمر مع شدة حاجتهم إلى الطعن في القرآن والغض منه والتوصل إلى تكذيبه بكل ما قدروا عليه، فلن يجوز أن يخفى على أولئك، وأن يجهلوه، ويعرفه من جاء الآن.

ثانيا: إن البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرا، وأقل الشعر بيتان فصاعدا، وأن ما كان على وزن بيتين، إلا أنه يختلف وزنهما أو قافيتهما فليس بشعر كذلك.

ثالثا: إن الشعر إنما يطلق، متى قصد القاصد إليه، على الطريق الذي يعتمد ويسلك، ولا يصح أن يتفق مثله إلا من الشعراء، دون ما يستوي فيه العامي والجاهل، والعالم بالشعر واللسان وتصرفه وما يتفق من كل واحد، فليس يكتسب اسم الشعر ولا صاحبه اسم شاعر، لأنه لو صح أن يسمى كل من اعترض في كلامه ألفاظ تتزن بوزن الشعر، أو تنتظم انتظام بعض الأعاريض، كان الناس كلهم شعراء، لأن كل متكلم لا ينفك من أن يعرض في جملة كلام كثير يقوله، ما قد يتزن بوزن الشعر وينتظم انتظامه، كقولهم : " أغلق الباب وائتني بالطعام "، وقولهم: "اكرموا من لقيتم من تميم "؟ ومثل هذا كثير.

إنَّ الملاحظ فيما قاله **قدامة** و**ابن رشيق** في حدِّ الشعر يلحظ أنهما لم يتوصلا إلى جوهر وحقيقة الشعر، إذ جعلا هذا الأخير من خلال اعتباره قولاً يقوم على اللفظ والوزن والقافية والمعنى، يشترك مع النظم العلمي، الذي لا يختلف في

شيء من ذلك، يقول **بدوي طبانة** معلقا على هذا التعريف، وعلى المقصود من المعنى في تعريف **قدامة:** «العناصر الثلاثة الأولى عناصر ظاهرة في الشكل، أما المعنى فليس المراد به واضحا في هذا الحد، فإن هناك كلاما موزونا مقفى له معنى، وهو في الوقت نفسه، غير معدود من الشعر، كذلك الكلام الذي نظمت فيه مسائل العلوم المختلفة ومصطلحاتها، فليس هذا معدودا من الشعر بالاتفاق، مع أنه يحمل معانيه العلمية، وهو من جهة أخرى معدود في الشعر في نظر قدامة، الذي تفيد عبارته أنه لا يريد أن يخرج من محترزاته إلا الكلام الذي اجتمعت فيه القافية والوزن لغير غاية أو هدف إلا العبث الذي يتلهّى به القادرون عليهما »[1].

أما **ابن خلدون**، فنراه في مقدمته يورد تعريف **قدامة**، دون زيادة في معناه، فيقول: « وهو الكلام الموزون المقفّى ومعناه الذي تكون أوزانه كلّها على رويّ واحد وهو القافية » [2] ولكنه لا يلبث فيما بعد أن ينتقد هذا التعريف ويراه قاصرا في تحديد حقيقة الشعر، فيقول في ذلك ذاكرا تعريفا يراه أكمل من تعريف **قدامة:** « وقول العروضيِّين في حدِّه إنّه الكلام الموزون المقفّى ليس بحدٍّ لهذا الشّعر الَّذي نحن بصدده ولا رسم له (...) ونحن هنا ننظر في الشّعر باعتبار ما فيه من الإعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصّة، فلا جرم إنّ حدّهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بدّ من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثيّة فنقول: الشّعر هو الكلام

(1) بدوي طبانة، قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، مرجع سبق ذكره، ص173.

(2) ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، ج02، تح : عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، سوريا، ط01، 2004، ص393.

البليغ المبنيُّ على الاستعارة والأوصاف، المفصَّل بأجزاء متّفقة في الوزن والرّويّ مستقلّ كلّ جزء منها في غرضه ومقصده عمّا قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به »[1].

مَفْهُومُ الشِّعْرِ عِنْدَ حَازِمِ القَرْطَاجَنِّي (ت684هـ):

يعد **حازم** من النقاد القلائل الذين حاولوا تطويع الثقافة اليونانية للعقل النقدي والبلاغي العربي، حيث مدَّ جسرا بين كتابي **أرسطو:** "الخطابة " و" البلاغة " وبين الدرس النقدي والبلاغي العربي منذ نشأته إلى القرن السابع الهجري، الأمر الذي جعل حازما في تأصيلاته للشعر العربي يبتعد بخطوات واضحة عن سابقيه (ابن طباطبا وقدامة بن جعفر)، حيث أتيح له الاطلاع على محاولات ثلاثة قرون بينه وبينهما، هذا من جهة ومن جهة ثانية أن **حازما القرطاجني** قد أفاد من الظروف السياسية والتاريخية، حيث « واكب جهده النقدي وعيه الحاد بأنه يعيش في مرحلة تخلف متعددة الأبعاد، على مستويات الإبداع والنقد والفكر والسلطة السياسية في آن، وكان وعيه بانهيار الأندلس، موطنه، يواكب وعيه بانهيار الشعر(...) وكان عليه أن يطرح متوحدا قضية الشعر من جديد في ضوء اختياره الخاص، وفي ضوء الظرف التاريخي المعقد الذي عاش فيه، ولم يكن أمامه من سبيل إلا التواصل مع الإنجازات الأصيلة من قبله، فبدأ من حيث انتهى قدامة، واستمرَّ

---

[1] المصدر نفسه، ج02، ص 399 – 400.

وحيدا مغتربا، يحمل زاد الحكمة والشعر، حتى وصل آفاق فريدة، مكنته من صياغة أنضج مفهوم للشعر في تراثنا النقدي »[1].

ولعل الذي يهمنا في كل هذا هو نزعته التجديدية في تعريف الشعر (تكامل المفهوم)، انطلاقا من مفهومي المحاكاة والتخييل لا على الوزن والقافية – كما عند النُّقاد العرب وعلى رأسهم **ابن طباطبا** و**قدامة** (تشكيل المفهوم) – فيقول في فصل: (معرف دال على المعرفة بماهية الشعر وحقيقته): « الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب على النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام، أو قوة صدقه أو قوة شهرته، أو بمجوع ذلك، وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها »[2].

الملاحظ في تعريف **القرطاجني** للشعر أنه دقيق وأدل على المقصود جمع فيه صاحبه بين الجانب الشكلي المتمثل في الوزن والقافية، والجانب النفسي المتمثل في التأثير على المتلقي وتحبيب ما يجب تحبيبه، وتكريه ما يجب تكريهه، وهذا متعلق عنده بمفهوم التخييل، والجانب الفني ممثلا في التعجيب والاستغراب، وهذا التعريف مع طوله نسبيا نجده جامعا مانعا بما توفر عليه من معطيات ومحترزات

---

[1] جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، مرجع سبق ذكره، ص 12– 13.

[2] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986، ص 71.

مهمة، تشكل بمجموعها تصورا ناضجا للشعر في ذلك الزمن، وله تعريف آخر في الاتجاه نفسه، أجمل فيه ما ذكره في التعريف السابق بشكل مختصر، وذلك في قوله: « الشعر كلام مخيل موزون، مختص في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك، والتئامه من مقدمات مخيلة، صادقة كانت أو كاذبة، لا يشترط فيها – بما هي شعر– غير التخييل »[1].

إن أول ما يمكن ملاحظته من الحدين السَّابقين أن **حازما القرطاجني** قد ركَّز على المعطى الإيقاعي (الوزن والقافية)، الذي أصبح خاصية شكلية متفقا عليها في النقد القديم، إلا أن الشيء الذي يُعزى الكلام فيه لحازم والفلاسفة المسلمين كا**الفارابي** و**ابن سينا** على وجه الخصوص هو ربط الوزن الشعري بالتخييل والمحاكاة، يقول **جابر عصفور** مبينا هذه العلاقة: « من المؤكد أن اقتران الوزن بالتخييل الشعري– أو المحاكاة– ليس أمرا عشوائيا، أو مجرد إكمالٍ شكلي لتعريف الشعر، وإنما هو أمرٌ يرتبط بخاصية الوزن نفسه، من حيث تأثيره الذاتي في المتلقي، وأهم من ذلك العلاقة الوثيقة بين الشعر والنغم، سواء أكان الحديث عن الشعر عموما أم عن الشعر العربي على وجه التخصيص »[2].

إن القول بتأثير الفلاسفة العرب في **حازم** أظهر من أي يُبرهن عليه، فقط نشير في هذا المقام إلى كلام **الفارابي** (ت 339هـ) في جوهر الشعر ونرى

---

[1] المصدر نفسه، ص89.

[2] جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، مرجع سبق ذكره، ص 192.

التشابه الواضح بينه وبين **حازم**، يقول: « فقوام الشعر وجوهره عند القدماء هو أن يكون قولا مؤلفا مما يُحاكي الأمر، وأن يكون مقسوما بأجزاء ينطق بها في أزمنة متساوية، ثم سائر ما فيه، فليس بضروري في قوام جوهره، وإنما هي أشياء يصير بها الشعر أفضل، وأعظم هذين في قوام الشعر هو المحاكاة / وعلم الأشياء التي بها المحاكاة، وأصغرها الوزن »[1].

مما سبق يتبين لنا الأثر الأرسطي في حازم، الشأن نفسه مع فلاسفة الإسلام كا**الكندي** و**الفارابي** و**ابن سينا** و**ابن الهيثم** و**ابن رشد**، وذلك من خلال ربط الشعر بالتخييل لا شيء آخر، فالتأثر بهم واضح، حتى إنه ينقل عن **ابن سينا** قوله في حدِّ المقولات الشعرية: « الأقاويل الشعرية مؤتلفة من المقدمات المخيلة من حيث يعتبر تخييلها، كانت صادقة أو كاذبة »[2].

وهذا ما أكده في أكثر من موضع، من ذلك قوله: « المعتبر في حقيقة الشعر إنما هو التخييل والمحاكاة في أي معنى اتفق ذلك »[3] وقوله: « واعتماد الصناعة الشعرية على تخييل الأشياء التي يعبر عنها بالأقاويل وبإقامة صورها في الذهن

[1] أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، جوامع الشعر، تح: محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1971، ص 172- 173.

[2] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، مصدر سبق ذكره ، ص83.

[3] المصدر نفسه، ص 21.

بحسن المحاكاة »[1] وقوله: « الشعر لا تعتبر فيه المادة، بل ما يقع في المادة من التخييل »[2].

من التَّعريفات السَّابقة يتبين لنا أن العمل الأدبي إذا كان بوصفه ((محاكاة)) فمعنى ذلك أنه تجسيد للواقع، وسعي إلى تصوير العالم أو الإنسان داخله، ويكون ((تخيُّلا)) إذا نظرنا إليه من جهة القوة النفسية التي تبدعه، ويكون ((تخييلا)) إذا نظرنا إلى الذات النفسية التي تتلقاه، والتي يحدث فيها آثارا تتجلى في الصور المتخيلة التي تنطبع في مخيلة هذا المتلقي، والشعر كما رأينا يمكن أن يعرف « بأي مصطلح من هذه المصطلحات الثلاثة، فيصبح ((محاكاة)) أو ((تخيلا)) أو ((تخييلا)) دون أن تتناقض التعريفات؛ لأن المصطلحات الثلاثة مجرد تسميات لزوايا متعددة، ننظر من خلالها إلى جوهر الشعر » [3].

من خلال ما سبق يمكن القول: إنّ المحاكاة لها علاقة مباشرة بالتخيُّل المرتبط بتشكل الصور المتخيلة عند المبدع، وبالتخييل المرتبط باستقبال هذه الصور عند المتلقي، والأثر المصاحب لهذا الاستقبال، وهو المقصود من قول **حازم:** « والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه

[1] المصدر نفسه، ص62.

[2] المصدر نفسه، ص 83.

[3] جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، مرجع سبق ذكره، ص 191.

ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها، أو تصور شيء آخر بها »[1].

وقد تنبَّه **ابن وهب** إلى حقيقة الشعر التي غفل عنها كثير من الدارسين، وهي تعبيره عن الأحاسيس والمشاعر، وذلك في قوله: « والشاعر من شعر يشعر فهو شاعر، والمصدر [الشعر] ولا يستحق الشاعر هذا الاسم حتى يأتي بما لا يشعر به غيره، وإذا كان إنما يستحق اسم الشاعر لما ذكرنا فكل من كان خارجاً عن هذا الوصف فليس بشاعر، وإن أتى بكلام موزون مقفى »[2].

وهذا القيد ذكره كذلك **أبو بكر الباقلاني**، في اعتبار الشاعر يتحقق فيه وصف الشعر إذا كان: « يشعر بما لا يشعر به غيره من الصنعة اللطيفة في نظم الكلام »[3]، وهو مقتضى ما أشار إليه **ابن رشيق** في كلامه عن وظيفة الشعر، وذلك في قوله: « وإنما الشعر ما أطرب، وهز النفوس، وحرك الطباع، فهذا هو باب الشعر الذي وضع له، وبنى عليه، لا ما سواه »[4].

---

(1) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، مصدر سبق ذكره، ص 89.

(2) أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح : حفني محمد شرف، مكتبة الشباب / مطبعة الرسالة، القاهرة، مصر، 1969، ص 130.

(3) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، مصدر سبق ذكره، ص 51.

(4) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج01، مصدر سبق ذكره، ص 128.

من خلال ما سبق يمكن القول: إن « هنالك مفهومات كثيرة للفظة ((الشعر))، وأن هذه الكثرة مبعثها اختلاف متناوليها، وتعدد طوائفهم، الذي ترتب عليه تعدد طوائف العقليات بحسب اتجاه تفكيرها وألوان ثقافتها، فكل طائفة من تلك الطوائف تفهم الشعر من أظهر ناحية تعرفها فيه، وأوضح خاصة تراها مستقيمة من وجهة نظرها »[1].

خَاتِمَةٌ:

بعد هذا التطواف المقتضب في رياض الدرس النقدي القديم، يمكن تحصيل النتائج المتوصل إليها في النقاط التالية:

*/ لقد شكل الشعر حجز الزاوية في الدرس النقدي القديم، بحيث استأثر باهتمام النقاد في زمان ومكان؛ لأنه ديوان العرب وعلمهم الذي ليس لهم علم أصح منه، إلا أن كثيرا من المصنفات الخاصة به ضاعت في مجاهل الزمن، والذي وصلنا منها يقدم تصورات لا بأس عن رؤية العرب له.

*/ يعدُّ **ابن طباطبا** في عيار شعره المهاد الأول الذي تجلى فيها تشكُّل المصطلح في النقد العربي القديم، وذلك من خلاله إشاراته لماهية الشعر ووظيفته وأدواته.

---

[1] بدوي طبانة، قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، مرجع سبق ذكره، ص 185.

*/ تعريف **قدامة بن جعفر** هو أول تعريف ناضج للشعر في وقته، بحيث إنه اعتمد على مفهوم المقولات الأرسطية في تحديد العناصر البنيوية والتكوينية التي تحدد ماهية الشعر.

*/ لقد تبع **ابنُ رشيق وابنُ خلدون قدامةَ بن جعفر** في الجانب الشكلي لمفهوم الشعر القائم على الوزن والقافية، الذي يعدُّ القدر المتفق عليه عند كل الدارسين قديما وحديثا.

*/ يعدُّ مفهوم الشعر الذي أورده حازمٌ في منهاجه أنضج ما وصلنا عن النقد القديم قاطبة، حيث أورد فيه حقيقة الشعر القائمة على التخييل والمحاكاة، وجمع فيه بين المعطى الشكلي (الوزن والقافية)، وبين المعطى النفسي (التأثري)، والمعطى الفني (الاستغراب والتعجيب)، وهو في هذا يظهر مدى تأثر الثقافة العربية بالفلسفة اليونانية.

قَائِمَةُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

01- بدوي طبانة، قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط03، 1969.

02- أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تح : عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط02، 1998.

03- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 05، 1997.

04- جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط05، 1995.

05- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986.

06- أبو الحسن علي بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ج01، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2000.

07- أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب / مطبعة الرسالة، القاهرة، مصر، 1969.

08- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط01، 1412هـ.

09- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج01، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط05، 1981.

10- أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط01، 1302هـ.

11- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996.

12- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج02، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط04، 1987.

13- أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، جوامع الشعر، تح: محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1971.

14- ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، ج02، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، سوريا، ط01، 2004.